بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة المدينة العالمية بماليزيا

كلية العلوم الإسلامية

دروس من حادثة الإفك

بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير من قسم القرآن وعلومه

بجامعة المدينة العالمية

إعداد الطالب

طارق جبران عبد الله شعبي

الرقم الجامعي / MTF111AM436

الفصل الدراسي / سبتمبر 2012

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

هدف هذا البحث إلى دراسة الدروس المتنوعة والمستنبطة من حادثة الإفك بالدراسة والتحليل لتوضيح كافة الملابسات حولها والعبر المستوحاة منها .

وتنبع أهمية هذا البحث في أنه يتناول قصة وحادثة عظيمة تحدث القرآن عنها ، ولا شك في أن دراسة القرآن الكريم وتدبر آياته وأخباره والتفكر في معانيها من أسمى مجالات البحث العلمي ، ومما دفعني لاختيار هذا الموضوع اطلاعي على دراسات طائفة من العلماء والمفسَرين ، فقلّما وجدتُ من بينها دراسة تفردت بدراسة حادثة الإفِك دراسة شاملة مستقلة ، مما جعلني أخصّ هذه الحادثة بدراسة تحليلية لاستخراج فوائدها واستنباط العبر منها .

وسوف يستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لدراسة هذه الحادثة ؛ لأنَ المنهج الوصفي من المناهج التي تصلح لمثل هذه الدراسات والتي يمكن أن يصل الباحث عبره إلى النتائج المرجوة .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى بابين : الباب الأول بعنوان : نبذة عن حادثة الإفك وقسمته إلى فصلين : الأول بعنوان حادثة الإفك في القرآن والسنة ، والثاني بعنوان دروس في حقائق وأخبار حادثة الإفك .

والباب الثاني بعنوان دروسٌ من حادثة الإفك وقسمته إلى فصلين أيضاً : الأول بعنوان دروس عقدية وفقهية من حادثة الإفك ، والثاني بعنوان دروس تربوية وإيمانية من حادثة الإفك .

ثم ذيّلت البحث بقائمة المصادر والمراجع التي سوف أستعين بها في كتابة هذا البحث .

ومن العقبات التي واجهتني في أثناء سيري في هذا البحث أن الدراسات والمصادر التي تحدثت عن هذه الحادثة مبعثرة في الكتب وكثير منها يتعرض لها بإيجاز مخلّ .

وقد سلكت في هذه الدراسة التي هي بعنوان (دروس من حادثة الإفك) سبيل التحليل والوصف والاستنباط ، فبدأت بإثبات هذه الحادثة في الوحيين ثم تعرّضت للجوانب المختلف فيها من الأحداث ، ثم قمت بذكر الفوائد والدروس الفقهية والعقدية والتربوية والإيمانية التي ذكرها العلماء ، واجتهدت في أن أستنبط بعضها حسب ما تيسر لي ،،، واسأل الله التوفيق والسداد .

الباحث

مشكلة البحث

إن عدم معرفة الأحداث والتفصيلات في هذه الحادثة وفهمها يؤدي إلى قصور في فهم واستيعاب هذه الحادثة ، وبالتالي يقع الإنسان في الخطأ والزلل وقد تصل إلى الإساءة للصحابة – رضوان الله عليهم – مع وجود دليل براءتهم وعلو قدرهم في القرآن الكريم و السنة المطهرة .

أهمية البحث

1- معرفة جماليات التعبير القرآني ودقته في تعرضه لهذه الحادثة .
2- توضيح وتبيين عظم مكانة الصحابة وعلو قدرهم .
3- خدمة دينية لكتاب الله الكريم .

أهداف البحث

1- إثراء المكتبة الإسلامية والقرآنية بمثل هذا النوع من الدراسات .
2- جمع وترتيب ما تفرّق من كلام العلماء والمفسرين والمؤرخين حول هذه الحادثة .
3- إلقاء الضوء على الفوائد والعبر الشرعية والإيمانية في هذه الحادثة .

منهج البحث

سوف يستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يصلح لهذه الدراسات .

الدراسات السابقة :-

الدراسة الأولى :

دراسة الإمام عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (541-600هـ) بعنوان حديث الإفك ، حيث تناول المؤلف فيها حادثة الإفك ، فعّرف بمعنى الإفك ثم عرض إلى الحديث عن خطورة النفاق وأثره على المجتمع ، ثم تحدث عن أثر الإشاعة السيئ على الأمة ، وأبرز مكانة البيت النبوي في ضوء هذه الحادثة .

وهذه الدراسة جيدة ، لكنها لم تعرض لأحداث القصة بالتفصيل والتحليل .

الدراسة الثانية :

دراسة الإمام ابن القيم (691-751هـ) لهذه الحادثة في كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد .

حيث أورد الحادثة في عرضه لغزوة بني المصطلق ، وعلّق عليها واستنبط منها ، وتعرّض لبعض تفاصيلها وأحداثها .

وهذه الدراسة ممتازة جداً ، لكنها لم تستوف جميع الأحداث ، ولم تعرض لاستنباط الفوائد وذلك لإيجازها وعدم الإسهاب فيها .

الدراسة الثالثة :-

دراسة الشيخ خالد بن عبد الرحمن الشايع (1414هـ) بعنوان " طهارة بيت النبوة وغيرة الله لعرض نبيه صلى الله عليه وسلم : حادثة الإفك وما فيها من أحكام وعبر" ولقد تحدث الباحث فيها بالتفصيل حول أحداث ووقائع هذه الحادثة ، ثم استخلص العبر والفوائد والأحكام منها ،

الباب الأول :- **نبذة عن حادثة الإفك ، فيه** :

الفصل الأول :- حادثة الإفك في القرآن والسنة .

الفصل الثاني :- دروس في حقائق وأخبار عن حادثة الإفك .

الفصل الأول :- حادثة الإفك في القرآن والسنة .

أولا :- حادثة الإفك كما رواها القرآن الكريم.

روى القرآن الكريم حادثة الإفك ، وقصّ أحداثها ، وأخبر عن ما ينبغي أن يكون عليه موقف المؤمنين وأدبهم مع هذه الحادثة فقال تعالى في شأن هذه الحادثة :

إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ * لَوْلا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ * وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ *إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم و تحسبونه هينا و هو عند الله عظيم * وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ * وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّه رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ

الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ * الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)[1]

هذه هي الآيات التي نزلت في شأن حادثة الإفك ، و لعل من المناسب قبل الخوض في تفصيلاتها و دقائقها و أحكامها التعرض للقراءات الواردة فيها ثم شرح لغريب مفردات هذه الآيات و ألفاظها بشرح معانيها ثم التعرّض بشرح و تعليق إجمالي للآيات عموما .

شرح غريب المفردات :

إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ : أسوأ الكذب على عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين بقذفها .

عُصْبَةٌ مِّنكُمْ : جماعة من المؤمنين .

وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ : أي تحمّل معظمه فبدأ بالخوض فيه و أشاعه .

لَوْلا : هلا

إِذْ : حين

سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ : ظن بعضهم ببعض

خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ : كذبٌ بيّنٌ ، فيه التفات عن الخطاب ، أي ظننتم أيها العصبة و قلتم : (لَوْلا) هلا (جَاؤُوا) أي العصبة (عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء) شاهدوه .

(1) سورة النور ، الآيات (11- 29)

(لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ) أيها العصبة أي خضتم .

(إذ تلقونه بألسنتكم) أي يرويه بعضكم عن بعض ، و حذف من الفعل إحدى التاءين .

(و تحسبونه هينا) : لا إثم فيه .

(يَعِظُكُمُ اللَّهُ) : ينهاكم .

(وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ) : الدلالات في الأمر و النهي .

(لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) : طرق تزيينه .

(يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء) : أي القبيح .

(وَالْمُنكَرِ) : شرعا .

(وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي) : يطهّر .

(وَلا يَأْتَلِ) : يحلف

(أُوْلُوا الْفَضْلِ) : أصحاب الغنى .

(إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ) : بالزنى .

(الْمُحْصَنَاتِ) : العفائف .

(الْغَافِلاتِ) : عن الفواحش بألا يقع في قلوبهن فعلها . (1)

الشرح و التعليق الإجمالي :

و هنا يحسن إيراد تعليق و كلام الأستاذ سيد قطب – رحمه الله – حيث حلّق عالياً في تعليقاته على النص القرآني الكريم توضيحاً و شرحاً يعين على فهم الآيات و تصوّر هذه الحادثة .

يقول رحمه الله : (**هذا الحادث . حادث الإفك . قد كلف أطهر النفوس في تاريخ البشرية كلها آلاما لا تطاق ؛ وكلف الأمة المسلمة كلها تجربة من أشق التجارب في تاريخها الطويل ؛ وعلق قلب رسول الله [صلى الله عليه و سلم] وقلب زوجة عائشة التي يحبها ، وقلب أبي بكر الصديق وزوجه ، وقلب صفوان بن المعطل . . شهرا كاملا . علقها بحبال الشك والقلق والألم الذي لا يطاق . فلندع عائشة – رضي الله عنها – تروي قصة هذا الألم , وتكشف عن سر هذه الآيات ...**)

ثم ذكر رواية الزهري لحديث عائشة – رضي الله عنها – و التي سأوردها كاملة في الفصل القادم ، و علّق عليها ، ثم انتقل إلى التعليق على الآيات فقال :

(إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم ، بل هو خير لكم . لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم . والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم)

فهم ليسوا فردا ولا أفرادا ؛ إنما هم عصبة متجمعة ذات هدف واحد . ولم يكن عبد الله بن أبي بن سلول وحده هو الذي أطلق ذلك الإفك . إنما هو الذي تولى معظمه . وهو يمثل عصبة اليهود أو المنافقين ، الذين عجزوا عن حرب الإسلام جهرة ؛ فتواروا وراء ستار الإسلام ليكيدوا للإسلام خفية . وكان حديث الإفك إحدى مكائدهم القاتلة . ثم خدع فيها المسلمون فخاض منهم من خاض في حديث الإفك كحمنة بنت جحش ؛ وحسان بن ثابت ، ومسطح بن أثاثة .

(**1**) تفسير الجلالين

أما أصل التدبير فكان عند تلك العصبة ، وعلى رأسها ابن سلول ، الحذر الماكر ، الذي لم يظهر بشخصه في المعركة . ولم يقل علانية ما يؤخذ به ، فيقاد إلى الحد . إنما كان يهمس به بين ملئه الذين يطمئن إليهم ، ولا يشهدون عليه . وكان التدبير من المهارة والخبث بحيث أمكن أن ترجف به المدينة شهرا كاملا ، وأن تتداوله الألسنة في أطهر بيئة وأتقاها !

وقد بدأ السياق ببيان تلك الحقيقة ليكشف عن ضخامة الحادث ، وعمق جذوره ، وما وراءه من عصبة تكيد للإسلام والمسلمين هذا الكيد الدقيق العميق اللئيم .

ثم سارع بتطمين المسلمين من عاقبة هذا الكيد :

(لا تحسبوه شرا لكم ؛ بل هو خير لكم . .)

خير . فهو يكشف عن الكائدين للإسلام في شخص رسول الله [صلى الله عليه و سلم] وأهل بيته . وهو يكشف للجماعة المسلمة عن ضرورة تحريم القذف وأخذ القاذفين بالحد الذي فرضه الله ؛ ويبين مدى الأخطار التي تحيق بالجماعة لو أطلقت فيها الألسنة تقذف المحصنات الغافلات المؤمنات . فهي عندئذ لا تقف عند حد . إنما تمضي صعدا إلى أشرف المقامات ، وتتطاول إلى أعلى الهامات ، وتعدم الجماعة كل وقاية وكل تحرج وكل حياء .

وهو خير أن يكشف الله للجماعة المسلمة – بهذه المناسبة – عن المنهج القويم في مواجهة مثل هذا الأمر العظيم .

أما الآلام التي عاناها رسول الله [صلى الله عليه و سلم] وأهل بيته ، والجماعة المسلمة كلها ، فهي ثمن التجربة ، وضريبة الابتلاء ، الواجبة الأداء !

أما الذين خاضوا في الإفك ، فلكل منهم بقدر نصيبه من تلك الخطيئة (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم) . . ولكل منهم نصيبه من سوء العاقبة عند الله . وبئس ما اكتسبوه ، فهو إثم يعاقبون عليه في حياتهم الدنيا وحياتهم الأخرى : (والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم يناسب نصيبه من ذلك الجرم العظيم)

والذي تولى كبره ، وقاد حملته ، واضطلع منه بالنصيب الأوفى ، كان هو عبد الله بن أبي بن سلول . رأس النفاق ، وحامل لواء الكيد . ولقد عرف كيف يختار مقتلا ، لولا أن الله كان من ورائه محيطا ، وكان لدينه حافظا ، ولرسوله عاصما ، وللجماعة المسلمة راعيا . . ولقد روي أنه لما مر صفوان بن المعطل بهودج أم المؤمنين وابن سلول في ملأ من قومه قال : من هذه ؟ فقالوا : عائشة رضي الله عنها . . فقال: والله ما نجت منه ولا نجا منها . وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ؛ ثم جاء يقودها !

وهي قولة خبيثة راح يذيعها – عن طريق عصبة النفاق – بوسائل ملتوية . بلغ من خبثها أن تموج المدينة بالفرية التي لا تصدق ، والتي تكذبها القرائن كلها . وأن تلوكها ألسنة المسلمين غير متحرجين . وأن تصبح موضوع أحاديثهم شهرا كاملا . وهي الفرية الجديرة بأن تنفى وتستبعد للوهلة الأولى .

وإن الإنسان ليدهش – حتى اليوم - كيف أمكن أن تروج فرية ساقطة كهذه في جو الجماعة المسلمة حينذاك . وأن تحدث هذه الآثار الضخمة في جسم الجماعة ، وتسبب هذه الآلام القاسية لأطهر النفوس وأكبرها على الإطلاق .

لقد كانت معركة خاضها رسول الله[صلى الله عليه و سلم] وخاضتها الجماعة المسلمة يومذاك . وخاضها الإسلام . معركة ضخمة لعلها أضخم المعارك التي خاضها رسول الله [صلى الله عليه و سلم] وخرج منها منتصرا كاظما لآلامه الكبار ، محتفظا بوقار نفسه وعظمة قلبه وجميل صبره . فلم تؤثر عنه كلمة واحدة تدل على نفاد صبره وضعف احتماله . والآلام التي تناوشه لعلها أعظم الآلام التي مرت به في حياته . والخطر على الإسلام من تلك الفرية من أشد الأخطار التي تعرض لها في تاريخه .

ولو استشار كل مسلم قلبه يومها لأفتاه ؛ ولو عاد إلى منطق الفطرة لهداه . والقرآن الكريم يوجه المسلمين إلى هذا المنهج في مواجهة الأمور ، بوصفه أول خطوة في الحكم عليها :

(لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ، وقالوا : هذا إفك مبين . .)

نعم كان هذا هو الأولى . . أن يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا . وأن يستبعدوا سقوط أنفسهم في مثل هذه الحمأة . . وامرأة نبيهم الطاهرة وأخوهم الصحابي المجاهد هما من أنفسهم . فظن الخير بهما أولى . فإن ما لا يليق بهم لا يليق بزوج رسول الله [صلى الله عليه و سلم] ولا يليق بصاحبه الذي لم يعلم عنه إلا خيرا . . كذلك فعل أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري وامرأته – رضي الله عنهما – كما روى الإمام محمد ابن إسحاق:أن أبا أيوب قالت له امرأته أم أيوب:يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة -رضي الله عنها ؟ – قال:نعم . وذلك الكذب . أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟ قالت : لا والله ما كنت لأفعله . قال:فعائشة والله خير منك . . ونقل الإمام محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره:"الكشاف" أن أبا أيوب الأنصاري قال لأم أيوب:ألا ترين ما يقال ؟ فقالت : لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله [صلى الله عليه و سلم

] سوءا ؟ قال:لا . قالت:ولو كنت أنا بدل عائشة – رضي الله عنها - ما خنت رسول الله [صلى الله عليه و سلم] فعائشة خير مني ، وصفوان خير منك . .

وكلتا الروايتين تدلان على أن بعض المسلمين رجع إلى نفسه واستفتى قلبه ، فاستبعد أن يقع ما نسب إلى عائشة ، وما نسب إلى رجل من المسلمين: من معصية لله وخيانة لرسوله ، وارتكاس في حمأة الفاحشة ، لمجرد شبهة لا تقف للمناقشة !

هذه هي الخطوة الأولى في المنهج الذي يفرضه القرآن لمواجهة الأمور . خطوة الدليل الباطني الوجداني . فأما الخطوة الثانية فهي طلب الدليل الخارجي والبرهان الواقعي :

(لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء ! فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون . .)

وهذه الفرية الضخمة التي تتناول أعلى المقامات ، وأطهر الأعراض ، ما كان ينبغي أن تمر هكذا سهلة هينة ؛ وأن تشيع هكذا دون تثبت ولا بينة ؛ وأن تتقاذفها الألسنة وتلوكها الأفواه دون شاهد ولا دليل: لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء ! وهم لم يفعلوا فهم كاذبون إذن . كاذبون عند الله الذي لا يبدل القول لديه ، والذي لا يتغير حكمه ، ولا يتبدل قراره . فهي الوصمة الثابتة الصادقة الدائمة التي لا براءة لهم منها ، ولا نجاة لهم من عقباها .

هاتان الخطوتان:خطوة عرض الأمر على القلب واستفتاء الضمير . وخطوة التثبت بالبينة والدليل . .غفل عنهما المؤمنون في حادث الإفك ؛ وتركوا الخائضين يخوضون في عرض رسول الله [صلى الله عليه و سلم] وهو أمر عظيم لولا لطف الله لمس الجماعة كلها البلاء العظيم . فالله يحذرهم أن يعودوا لمثله أبدا بعد هذا الدرس الأليم :

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم) . .

لقد احتسبها الله للجماعة المسلمة الناشئة درسا قاسيا . فأدركهم بفضله ورحمته ولم يمسسهم بعقابه وعذابه . فهي فعلة تستحق العذاب العظيم . العذاب الذي يتناسب مع العذاب الذي سببوه للرسول [صلى الله عليه و سلم] وزوجه وصديقه وصاحبه الذي لا يعلم عليه إلا خيرا . والعذاب الذي يتناسب مع الشر الذي ذاع في الجماعة المسلمة وشاع ؛ ومس كل المقدسات التي تقوم عليها حياة الجماعة . والعذاب الذي يناسب خبث الكيد الذي كادته عصبة المنافقين للعقيدة لتقتلعها من جذورها حين تزلزل ثقة المؤمنين بربهم ونبيهم وأنفسهم طوال شهر كامل ، حافل بالقلق والقلقة

والحيرة بلا يقين ! ولكن فضل الله تدارك الجماعة الناشئة ، ورحمته شملت المخطئين ، بعد الدرس الأليم .

والقرآن يرسم صورة لتلك الفترة التي أفلت فيها الزمام ؛ واختلت فيها المقاييس ، واضطربت فيها القيم ، وضاعت فيها الأصول :

(إذ تلقونه بألسنتكم ، وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم ؛ وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم . .)

وهي صورة فيها الخفة والاستهتار وقلة التحرج ، وتناول أعظم الأمور وأخطرها بلا مبالاة ولا اهتمام :

(إذ تلقونه بألسنتكم . .)

لسان يتلقى عن لسان ، بلا تدبر ولا ترو ولا فحص ولا إنعام نظر . حتى لكأن القول لا يمر على الآذان ، ولا تتملاه الرؤوس ، ولا تتدبره القلوب) ! (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) . . بأفواهكم لا بوعيكم ولا بعقلكم ولا بقلبكم . إنما هي كلمات تقذف بها الأفواه ، قبل أن تستقر في المدارك ، وقبل أن تتلقاها العقول. .

(وتحسبونه هينا) أن تقذفوا عرض رسول الله ، وأن تدعوا الألم يعصر قلبه وقلب زوجه وأهله ؛ وأن تلوثوا بيت الصديق الذي لم يرم في الجاهلية ؛ وأن تتهموا صحابيا مجاهدا في سبيل الله . وأن تمسوا عصمة رسول الله [صلى الله عليه و سلم] وصلته بربه ، ورعاية الله له . . (وتحسبونه هينا . .) وهو عند الله عظيم ، وما يعظم عند الله إلا الجليل الضخم الذي تزلزل له الرواسي ، وتضج منه الأرض والسماء .

ولقد كان ينبغي أن تجفل القلوب من مجرد سماعه ، وأن تتحرج من مجرد النطق به ، وأن تنكر أن يكون هذا موضوعا للحديث ; وأن تتوجه إلى الله تنزهه عن أن يدع نبيه لمثل هذا ؛ وأن تقذف بهذا الإفك بعيدا عن ذلك الجو الطاهر الكريم :

(ولولا إذ سمعتموه قلتم:ما يكون لنا أن نتكلم بهذا . سبحانك ! هذا بهتان عظيم . .)

وعندما تصل هذه اللمسة إلى أعماق القلوب فتهزها هزا ؛ وهي تطلعها على ضخامة ما جنت وبشاعة ما عملت . . عندئذ يجيء التحذير من العودة إلى مثل هذا الأمر العظيم :

(يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين)

يعظكم في أسلوب التربية المؤثر . في أنسب الظروف للسمع والطاعة والاعتبار . مع تضمين اللفظ معنى التحذير من العودة إلى مثل ما كان .

(يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا . .)

ومع تعليق إيمانهم على الانتفاع بتلك العظة : (إن كنتم مؤمنين . .)

فالمؤمنون لا يمكن أن يكشف لهم عن بشاعة عمل كهذا الكشف ، وأن يحذروا منه مثل هذا التحذير ، ثم يعودوا إليه وهم مؤمنون :

(ويبين الله لكم الآيات)

على مثال ما بين في حديث الإفك ، وكشف عما وراءه من كيد ؛ وما وقع فيه من خطايا وأخطاء .

(والله عليم حكيم)

يعلم البواعث والنوايا والغايات والأهداف ؛ ويعلم مداخل القلوب ، ومسارب النفوس . وهو حكيم في علاجها ، وتدبير أمرها ، ووضع النظم والحدود التي تصلح بها . .

الدرس الرابع:**19 – 22** معالجة بعض آثار حادث الإفك

ثم يمضي في التعقيب على حديث الإفك ؛ وما تخلف عنه من آثار ؛ مكررا التحذير من مثله ، مذكرا بفضل الله ورحمته ، متوعدا من يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات بعذاب الله في الآخرة . ذلك مع تنقية النفوس من آثار المعركة ؛ وإطلاقها من ملابسات الأرض ، وإعادة الصفاء إليها والإشراق . . كما تتمثل في موقف أبي بكر – رضي الله عنه – من قريبه مسطح بن أثاثة الذي خاض في حديث الإفك مع من خاض :

(إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

والذين يرمون المحصنات – وبخاصة أولئك الذين تجرأوا على رمي بيت النبوة الكريم – إنما يعملون على زعزعة ثقة الجماعة المؤمنة بالخير والعفة والنظافة ؛ وعلى إزالة التحرج من ارتكاب الفاحشة ، وذلك عن طريق الإيحاء بأن الفاحشة شائعة فيها . . بذلك تشيع الفاحشة في النفوس ، لتشيع بعد ذلك في الواقع .

من أجل هذا وصف الذين يرمون المحصنات بأنهم يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، وتوعدهم بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة .

وذلك جانب من منهج التربية ، وإجراء من إجراءات الوقاية . يقوم على خبرة بالنفس البشرية ، ومعرفة بطريقة تكيف مشاعرها واتجاهاتها . . ومن ثم يعقب بقوله :

(والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

ومن ذا الذي يعلم أمر هذه النفس إلا الذي خلقها ؟ ومن ذا الذي يدبر أمر هذه الإنسانية إلا الذي برأها ؟ ومن ذا الذي يرى الظاهر والباطن , ولا يخفى على علمه شيء إلا العليم الخبير ؟

ومرة أخرى يذكر المؤمنين بفضل الله عليهم ورحمته :

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم)

إن الحدث لعظيم ، وإن الخطأ لجسيم ، وإن الشر الكامن فيه لخليق أن يصيب الجماعة المسلمة كلها بالسوء . ولكن فضل الله ورحمته ، ورأفته ورعايته . . ذلك ما وقاهم السوء . . ومن ثم يذكرهم به المرة بعد المرة ؛ وهو يربيهم بهذه التجربة الضخمة التي شملت حياة المسلمين .

فإذا تمثلوا أن ذلك الشر العظيم كان وشيكا أن يصيبهم جميعا ، لولا فضل الله ورحمته ، صور لهم عملهم بأنه اتباع لخطوات الشيطان . وما كان لهم أن يتبعوا خطوات عدوهم وعدو أبيهم من قديم . وحذرهم ما يقودهم الشيطان إليه من مثل هذا الشر المستطير :

(يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ؛ ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر . ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا ؛ ولكن الله يزكي من يشاء ، والله سميع عليم)

وإنها لصورة مستنكرة أن يخطو الشيطان فيتبع المؤمنون خطاه ، وهم أجدر الناس أن ينفروا من الشيطان وأن يسلكوا طريقا غير طريقه المشؤوم ! صورة مستنكرة ينفر منها طبع المؤمن ، ويرتجف لها وجدانه ، ويقشعر لها خياله ! ورسم هذه الصورة ومواجهة المؤمنين بها يثير في نفوسهم اليقظة والحذر والحساسية :

(ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر)

وحديث الإفك نموذج من هذا المنكر الذي قاد إليه المؤمنين الذين خاضوا فيه . وهو نموذج منفر شنيع .

وإن الإنسان لضعيف ، معرض للنزعات ,عرضة للتلوث . إلا أن يدركه فضل الله ورحمته . حين يتجه إلى الله ، ويسير على نهجه .

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا . ولكن الله يزكي من يشاء)

فنور الله الذي يشرق في القلب يطهره ويزكيه . ولولا فضل الله ورحمته لم يزك من أحد ولم يتطهر . والله يسمع ويعلم ، فيزكي من يستحق التزكية ، ويطهر من يعلم فيه الخير والاستعداد .

(والله سميع عليم)

وعلى ذكر التزكية والطهارة تجيء الدعوة إلى الصفح والمغفرة بين بعض المؤمنين وبعض – كما يرجون غفران الله لما يرتكبونه من أخطاء وذنوب .

(ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ؛ وليعفوا وليصفحوا . ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم)

نزلت في أبي بكر – رضي الله عنه – بعد نزول القرآن ببراءة الصديقة . وقد عرف أنه مسطح بن أثاثة كان ممن خاضوا فيه . وهو قريبه . وهو من فقراء المهاجرين . وكان أبو بكر – رضي الله عنه – ينفق عليه ، فآلى على نفسه لا ينفع مسطحا بنافعة أبدا .

نزلت هذه الآية تذكر أبا بكر ، وتذكر المؤمنين ، بأنهم هم يخطئون ثم يحبون من الله أن يغفر لهم . فليأخذوا أنفسهم -بعضهم مع بعض – بهذا الذي يحبونه ، ولا يحلفوا أن يمنعوا البر عن مستحقيه ، إن كانوا قد أخطأوا وأساءوا . .

وهنا نطلع على أفق عال من آفاق النفوس الزكية ، التي تطهرت بنور الله . أفق يشرق في نفس أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – أبي بكر الذي مسه حديث الإفك في أعماق قلبه ، والذي احتمل مرارة الاتهام لبيته وعرضه . فما يكاد يسمع دعوة ربه إلى العفو ، وما يكاد يلمس وجدانه ذلك السؤال الموحي : (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) حتى يرتفع على الآلام ، ويرتفع على مشاعر الإنسان ، ويرتفع على منطق البيئة . وحتى تشف روحه وترف وتشرق بنور الله . فإذا هو يلبي داعي الله في طمأنينة وصدق يقول:بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي . ويعيد إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ، ويحلف:والله لا أنزعها منه أبدا . ذلك في مقابل ما حلف:والله لا أنفعه بنافعة أبدا .

بذلك يمسح الله على آلام ذلك القلب الكبير ، ويغسله من أوضار المعركة ، ليبقى أبدا نظيفا طاهرا زكيا مشرقا بالنور . .

الدرس الخامس:**23 – 25** وعيد من يقذفون المؤمنات الغافلات

ذلك الغفران الذي يذكر الله المؤمنين به . إنما هو لمن تاب عن خطيئة رمي المحصنات وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا . فأما الذين يرمون المحصنات عن خبث وعن إصرار ، كأمثال ابن أبي فلا سماحة ولا عفو . ولو أفلتوا من الحد في الدنيا ، لأن الشهود لم يشهدوا فإن عذاب الله ينتظرهم في الآخرة . ويومذاك لن يحتاج الأمر إلى شهود :

(إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ، ولهم عذاب عظيم . يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون . يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ، ويعلمون أن الله هو الحق المبين)

ويجسم التعبير جريمة هؤلاء ويبشعها ، وهو يصورها رميا للمحصنات المؤمنات وهن غافلات غارات ، غير آخذات حذرهن من الرمية .وهن بريئات الطوايا مطمئنات لا يحذرن شيئا ، لأنهن لم يأتين شيئا يحذرنه ! فهي جريمة تتمثل فيها البشاعة كما تتمثل فيها الخسة . ومن ثم يعاجل مقترفيها باللعنة . لعنة الله لهم . وطردهم من رحمته في الدنيا والآخرة . ثم يرسم ذلك المشهد الأخاذ:

(يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم)

فإذا بعضهم يتهم بعضا بالحق ، إذ كانوا يتهمون المحصنات الغافلات المؤمنات بالإفك ! وهي مقابلة في المشهد مؤثرة ، على طريقة التناسق الفني في التصوير القرآني .

(يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق)

ويجزيهم جزاءهم العدل ، ويؤدي لهم حسابهم الدقيق . ويومئذ يستيقنون مما كانوا يستريبون :

(ويعلمون أن الله هو الحق المبين)

الدرس السادس:**26** الصالحات للصالحين وبراءة عائشة

ويختم الحديث عن حادث الإفك ببيان عدل الله في اختياره الذي ركبه في الفطرة ، وحققه في واقع الناس . وهو أن تلتئم النفس الخبيثة بالنفس الخبيثة ، وأن تمتزج النفس الطيبة بالنفس الطيبة . وعلى هذا تقوم العلاقات بين الأزواج . وما كان يمكن أن تكون عائشة -رضي الله عنها – كما رموها ، وهي مقسومة لأطيب نفس على ظهر هذه الأرض :

(الخبيثات للخبيثين ، والخبيثون للخبيثات . والطيبات للطيبين ، والطيبون للطيبات . أولئك مبرأون مما يقولون ، لهم مغفرة ورزق كريم)

ولقد أحبت نفس رسول الله [صلى الله عليه و سلم] عائشة حبا عظيما .فما كان يمكن أن يحببها الله لنبيه المعصوم ، إن لم تكن طاهرة تستحق هذا الحب العظيم .

أولئك الطيبون والطيبات (مبرأون مما يقولون)بفطرتهم وطبيعتهم ، لا يلتبس بهم شيء مما قيل .

(لهم مغفرة ورزق كريم) مغفرة عما يقع منهم من أخطاء . ورزق كريم . دلالة على كرامتهم عند ربهم الكريم .

بذلك ينتهي حديث الإفك . ذلك الحادث الذي تعرضت فيه الجماعة المسلمة لأكبر محنة . إذ كانت محنة الثقة في طهارة بيت الرسول ، وفي عصمة الله لنبيه أن يجعل في بيته إلا العنصر الطاهر الكريم . وقد جعلها الله معرضا لتربية الجماعة المسلمة ، حتى تشف وترف ؛ وترتفع إلى آفاق النور . .في سورة النور . .) (1)

---

(1) في ظلال القرآن ، سيد قطب

ثانيا :- حادثة الإفك في السنة النبوية المطهرة .

جاءت العديد من كتب السنة بذكر حادثة الإفك والأحداث التي وقعت فيها بالتفصيل .

وربما اختلفت كتب السنة نوعاً ما عند ذكرها للحادثة في ألفاظها ، ولكنها أطبقت واتفقت على احداثها وتفاصيلها.ونكتفي هنا بذكر هذه الحادثة كما في صحيح مسلم قال الإمام مسلم – رحمه الله – في صحيحه :

(حدثنا حبان بن موسى . أخبرنا عبد الله بن المبارك . أخبرنا يونس بن يزيد الايلى ح وحدثنا إسحق بن إبراهيم الحنظلي ومحمد بن رافع وعبد بن حميد " قال ابن رافع : حدثنا . وقال الآخران : أخبرنا عبد الرزاق : أخبرنا معّمر – والسياق حديث معمر من رواية عبد وابن رافع قال يونس ومعمر . جميعاً عن الزهري : أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن :

حديث عائشة ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا . فبرأها الله مما قالوا ، وكلهم حدثنى طائفة من حديثها ،وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت اقتصاصاوقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني ، وبعض حديثهم يصدق بعضاً ذكروا أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : كان رسول الله إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها ، خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه .

قالت عائشة : فأقرع بيننا في غزوة غزاها ، فخرج فيها سهمي ، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك بعدما أنزل الحجاب ، فأنا أحمل في هودجي ، وأنزل فيه مسيرنا . حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه ، وقفل ، ودنونا من المدينة ، آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت من شأني أقبلت إلى الرحل . فلمست صدري فإذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع ، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه . و أقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فحملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب ، و هم يحسبون أني فيه .

قالت : و كانت النساء إذ ذاك خفافا . لم يهبلن و لم يغشهن اللحم ، إنما يأكلن العلقة من الطعام ، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه و رفعوه ، و كنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الجمل وساروا ، و وجدت عقدي بعد ما استمر الجيش ، فجئت منازلهم و ليس بها داع و لا مجيب ، فتيممت منزلي الذي كنت فيه ، و ظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إليّ . فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت .

و كان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني ، قد عرس من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم ، فأتاني فعرفني حين رآني ، و قد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب عليّ ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ، فخمّرت وجهي بجلبابي . و والله ما يكلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها . فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش ، بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة .

فهلك من هلك في شأني ، و كان الذي تولى كبره عبد الله بن أبيّ ابن سلول ، فقدمنا المدينة فاشتكيت ، حين قدمنا المدينة شهرا ، و الناس يفيضون في قول أهل الإفك و لا أشعر بشيء من ذلك ، و هو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله – صلى الله عليه و سلم – اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل رسول الله – صلى الله عليه و سلم – فيسلّم ثم يقول " كيف تيكم ؟ " فذاك يريبني . و لا أشعر بالشر. حتى خرجت بعد ما نقهت و خرجت معي أم مسطح قبل المناصع – و هو متبرزنا – و لا نخرج إلا ليلا إلى ليل ، و ذلك قبل أن تتخذ الكنف قريبا من بيوتنا . و أمرنا أمر العرب الأول في التنزّه . و كنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا .

فانطلقت أنا وأم مسطح ، وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وأمها ابنة صخر بن عامر ، خالة أبي بكر الصديق . وابنها مسطح بن أثاثة بن عبّاد بن المطلب ، فأقبلت أنا وبنت أبي رُهم قبل بيتي . حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت : تعس مسطح ، فقلت لها : بئسما قلت . أتسبين رجلاً شهد بدراً ، قالت : أي هنتاه أو لم تسمعي ماقال ؟ قلت : وماذا قال ؟ قالت : فأخبرتني بقول أهل الإفك . فازددت مرضاً إلى مرضي ، فلما رجعت إلى بيتي ، فدخل عليَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فسلّم ثم قال : " كيف تيكم ؟ " قلت : أتأذن لي أن آتي أبوي ؟ قالت : وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما ، فأذن لي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

فجئت أبويَ فقلت لأمي : يا أمتاه ! ما يتحدث الناس ؟ فقالت : يابنية ! هوّني عليك فوالله ! لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ، ولها ضرائر إلا كثّرن عليها ، قالت : قلت : سبحان الله ! وقد تحدث الناس بهذا ؟ قالت : فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي .

ودعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله ، قالت : فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالذي يعلم من براءة أهله ، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الودّ ، فقال : يارسول الله ! هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً ، وأما عليّ بن أبي طالب فقال : لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تصدقك ، قالت : فدعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بريرة فقال " أي بريرة ! هل رأيت من شيء يريبك من عائشة ؟ " قالت له بريرة : والذي بعثك بالحق ! إن رأيت عليها أمراً قط أغمصه عليها ، أكثر من أنها جارية حديثة السن ، تنام عن عجين أهلها ، فتأتي الداجن فتأكله .
قالت : فقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على المنبر ، فاستعذر من عبد الله بن أبيّ ابن سلول ، قالت : فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو على المنبر : " يا معشر المسلمين ! من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي ، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي "
فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال : أنا أعذرك منه يارسول الله ! إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك .
قالت : فقام سعد ابن عبادة ، وهو سيد الخزرج – وكان رجلا صالحاً ، ولكن اجتهلته الحمية – فقال لسعد بن معاذ : كذبت لعمر الله ! لاتقتله ولا تقدر على قتله ، فقام أسيد بن حُضير ، وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله ! لنقتلنّه . فإنك منافق تجادل عن المنافقين ، فثار الحيان الأوس والخزرج ، حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – قائم عى

المنبر . فلم يزل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يخفضهم حتى سكتوا وسكت .

قالت : وبكيت يومي ذلك ، لايرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، ثم بكيتُ ليلتي المقبلة ، لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي .

فبينما هما جالسان عندي ، وأنا أبكي ، استأذنت عليَّ امرأة من الأنصار فأذنت لها ، فجلست تبكي . قالت فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فسلّم ثم جلس ، قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل ، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء . قالت : فتشهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين جلس ثم قال " **أما بعد ، ياعائشة ! فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب ، فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب ، تاب الله عليه** " قالت : فلما قضى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مقالته ، قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبي : أجب عني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيما قال ، فقال : و الله! ما أدري ما أقول لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فقلت لأمّي : أجيبي عنّي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – . فقالت : و الله ! ما أدري ما أقول لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فقلت – وأنا جارية حديثة السن ، لا أقرأ كثيراً من القرآن : إني والله ! لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقرّ في نفوسكم وصدقتم به ، فإن قلت لكم إني بريئة ، – والله يعلم أني بريئة – لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر – والله يعلم أني بريئة – لتصدقونني . وإني والله ! ما أجد لي ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) .

قالت : ثم تحولت فاضطجعت على فراشي ، قالت : وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة ، وأن الله مبرئي ببراءتي ، ولكن والله ! ماكنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله – عزوجل – فيّ بأمر يتلى . ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في النوم رؤيا يبرئني الله بها .

قالت : فوالله ! مارام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مجلسه، ولا خرج من أهل البيت أحد ، حتى أنزل الله – عزّ وجلّ – على نبيه – صلى الله عليه وسلم – ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي ، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشات ، من ثقل القول الذي أنزل عليه . قالت : فلمّا سرّي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وهو يضحك ، فكان أول كلمة تكلّم بها أن قال " **أبشري ياعائشة ! أمّا الله فقد برّأك** "

فقالت لي أمي : قومي إليه ، فقلت : والله ! لا أقوم إليه ، و لا أحمد إلا الله ، هوالذي أنزل براءتي ، قالت : فأنزل الله – عزّ و جلّ – : { **إنّ الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم** }[النور /11] عشر آيات . فأنزل الله – عزّ و جلّ – هؤلاء الآيات براءتي ، قالت : فقال أبو بكر – وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره – : والله ! لا أنفق عليه شيئاً أبداً ، بعد الذي قال لعائشة "

فأنزل الله عزوجل (وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى) النور / 22 إلى قوله : (أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) .

قال حبان بن موسى : قال عبدالله بن المبارك : هذه أرجى آية في كتاب الله .
فقال أبوبكر : والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال : لا أنزعها منه أبداَ .
قالت عائشة : وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سأل زينب بنت جحش ، زوج النبي – صلى الله عليه وسلم – عن أمري " **ماعلمت ؟ أو مارأيت ؟** " فقالت : يا رسول الله ! أحمي سمعي وبصري ، والله ! ما علمت إلا خيراً .
قالت عائشة : وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – فعصمها الله بالورع ، وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك .
قال الزهري : فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط .
وقال في حديث يونس : احتملته الحمية .

الفصل الثاني :- دروس في حقائق وأخبار حادثة الإفك .

أولاَ : متى كانت حادثة الإفك .

لاريب بداية أن يقال إن حادثة الإفك حدثت في إحدى الغزوات التي غزاها النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قول عائشة – رضي الله عنها – في الصحيحين " فأقرع بيننا في غزوة غزاها "

وقد اتفق المؤرخون وأهل السير والمغازي على إن تلك الغزوة التي عنتها عائشة بحديثها السابق هي غزوة المريسيع التي غزا فيها النبي صلى الله عليه وسلم – بني المُصطلق .

ومنهم مثلاً الإمام ابن القيم – رحمه الله – فقد عقد فصلاً في كتابه " زاد المعاد " في غزوة المريسيع ثم ذكر ما فيها من أحداث ، إلى أن قال في حديثه عن نفس هذه الغزوة : (وهذا يدل على إن قصة العقد التي نزل التيمم لأجلها بعد هذه الغزوة ، وهو الظاهر ولكن فيها كانت قصة الإفك بسبب فقد العقد والتماسه) [1]

ولَمًا كان الإمام الذهبي – رحمه الله – يسرد أحداث السنة الخامسة في كتابه " سير أعلام النبلاء " ذكر منها غزوة المريسيع . [2]

وذكر الحافظ ابن كثير _ رحمه الله – في " البداية والنهاية " حادثة الإفك في سرده لأحداث غزوة بني المصطلق ، وساق فيها رواية محمد بن إسحاق لحديث عائشة وفيها صرّحت بأنها غزوة بني المصطلق .[3]

وفي كتابه المسّمى " الرحيق المختوم " أورد المباركي حادثة الإفك ضمن غزوة بني المصطلق وقال : (وفي هذه الغزوة كانت قصة الإفك) [4]

بيد أنّ المؤرخين وأهل السير اختلفوا في تحديد تاريخ هذه الغزوة وبالتالي حادثة الإفك على ثلاثة أقوال هي :

أ- أنها وقعت سنة 4 هـ

ب-أنها وقعت سنة 6 هـ

ج- انها وقعت سنة 5هـ

---

[1] زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن القيم 231,232/3 . مؤسسة الرسالة

[2] سير أعلام النبلاء ، للذهبي : 1/ 467,468 . مؤسسة الرسالة

[3] البداية والنهاية لابن كثير 547/3 ، دار المعرفة

[4] الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ص 341 ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الشرعية

وقد نسب الشيخ خالد الشايع هذه الأقوال إلى أصحابها ، ورجّح منها القول الثالث ، وذلك في كتابه " طهارة بيت النبوة " . [1]

ثانيا :- مواقف واتجاهات الصحابة حول حادثة الإفك.

[1] طهارة بيت النبوة ، خالد الشايع ، ص 36,35,34 ، دار الجلالين – دار بلنسية ، الطبعة الاولى

كان للصحابة رضوان الله عليهم ، مواقف واتجاهات حول هذه النازلة العظيمة التي ألمّت بالمسلمين .

وقد جاءت هذه المواقف متضامنة ومؤيدة ومؤكدة على براءة الصديقة بنت الصدِّيق عائشة بنت أبي بكر – رضي الله عنهما – .

وظهر واضحاً جلياً في هذه المواقف حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشفقتهم لأجل أهل بيته ، خصوصاً مع طول وقت هذه الأزمة ، والتي مكثت أكثر من شهر ، وقد مّر في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه ، والذي ذكر في الفصل الأول أنها قالت : (فقدمنا المدينة فاشتكيت ، حيث قدمنا المدينة شهراً ، والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك) ثم أفاضت في سرد الأحداث .

وفيما يلي ذكر لنماذج من مواقف الصحابة في هذه الحادثة .

1– موقف أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – .

لم يثبت عن أبي بكر – رضي الله عنه – شيء في أثناء هذه الأزمة التي عصفت ببيته و آذت رسوله – صلى الله عليه وسلم – سوى أنه قال لعائشة ابنته عندما طلبته قائلة : (أجب عني رسول الله) فقال لها :(والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم) كما في حديث مسلم المذكور في بداية هذا البحث

ولعل السبب في توقفه – رضي الله عنه – هو تمام متابعته للنبي صلى الله عليه وسلم ، لما رآه متوقفا في هذه الحادثة حتى نزول الوحي .

بيد أنه لما نزل الوحي حاسماً لبراءة عائشة – رضي الله عنها – ومفنداً لقالة أهل الافك ، حلف أبوبكر – رضي الله عنه – على أن لا ينفق على قريبه مسطح بن أثاثة – وكان ممن خاض في الإفك – إلا أنّ نزول الآيات التي تحثه على العفو جعلته يعدل عن قراره ، فعاد للإنفاق عليه [1]

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص 658 ، دار الجوزي

2- موقف علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – .

جاء في حديث مسلم – رحمه الله – أن النبي صلى الله عليه وسلم ، لما استشار علي بن أبي طالب في فراق أهله ، أن علياً – رضي الله عنه – قال للنبي صلى الله عليه وسلم – في شأن عائشة : (لم يضيّق الله عليك والنساء سواها كثير)

وقد وضّح العلماء موقف علي – رضي الله عنه – بمقولته هذه ، فقال الإمام ابن القيم رحمه الله :

(ثم استشار أصحابه في فراقها ، فأشار عليه عليَ – رضي الله عنه – أن يفارقها ، ويأخذ غيرها تلويحاً لا تصريحاً ..... فعليُ لما رأى أن ما قيل مشكوك فيه ، أشار بترك الشك والريبة إلى اليقين ليتخلّص رسول الله – صلى الله عليه وسلم –من الهم والغم الذي لحقه من كلام الناس ، فأشار بحسم الداء)[1]

كما علقّ النووي – رحمه الله – على موقف علي – رضي الله عنه – فقال : (الذي قاله علي – رضي الله عنه – هو الصواب في حقه – صلى الله عليه وسلم – ، لأنه رآه مصلحة ونصيحة للنبي صلى الله عليه وسلم في اعتقاده ، ولم يكن ذلك في نفس الأمر؛ لأنه رأى انزعاج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بهذا الأمر وقلقه ، فأراد راحة خاطره ، وكان ذلك أهم من غيره) . [2]

3- موقف أسامة بن زيد – رضي الله عنهما – .

كذلك تقدّم في حديث عائشة – رضي الله عنها – في صحيح مسلم ، أنّ أسامة بن زيد – رضي الله عنهما – قال في شأنها : (يارسول الله ،هم أهلك ولانعلم إلا خيراَ)

وقد فسر ابن القيم – رحمه الله – موقف اسامة – رضي الله عنه – قائلاَ (وأسامة لما علم حب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لها ولابيها ، وعلم من عفتها وبراءتها ، وحصانتها وديانتها ماهي فوق ذلك ، وأعظم منه ، وعرف من كرامة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على ربه ومنزلته عنده ، ودفاعه عنه ، أنه لايجعل ربة بيته وحبيبته من النساء ، وبنت صدّيقه بالمنزلة التي أنزلها به أرباب

---

[2] زاد المعاد لابن القيم 3 / 233

[1] شرح النووي لصحيح مسلم

الإفك ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم على ربه ، وأعز عليه من أن يجعل تحته امرأة بغياً ، وعلم أن الصديقة حبيبة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أكرم على ربها من أن يبتليها بالفاحشة ، وهي تحت رسوله ، ومن قويت معرفته لله ومعرفته لرسوله وقدره عند الله في قلبه ، قال كما قال أبو أيوب وغيره من سادات الصحابة، لما سمعوا ذلك : " سبحانك هذا بهتان عظيم " [1].

4– موقف أبي أيوب الأنصاري وزوجته – رضي الله عنهما – :

وهذا الموقف من أروع المواقف التي جاءت في حادثة الإفك والتي تنبئ عن عظم مكانة النبي – صلى الله عليه وسلم – وأهل بيته في نفوس الصحابة .

حيث جاء في فتح القدير : (وأخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن بعض الأنصار؛ أن امرأة أبي أيوب قالت له حين قال أهل الإفك ما قالوا : ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال : بلى والله الكذب ، أكنت أنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت : لا والله ، قال : فعائشة –والله– خير منك وأطيب ، إنما هذا كذب وإفك باطل) . [2]

5– موقف أم رومان – وهي أم عائشة – رضي الله عنهما .

بذلت أم رومان – وهي أم عائشة– قصارى جهدها في التخفيف عن ابنتها في مصابها العظيم حيث قالت مستنكرة أقوال أهل الإفك ومواسية لابنتها ما ورد في حديث الإفك السابق الذي أورده مسلم – رحمه الله – : (يا بنية ، هوني عليك ، فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ، ولها ضرائر إلا كثرن عليها .)

6– أم مسطح بن أثاثة – رضي الله عنهما – .

كذلك ينضح موقف أم مسطح – رضي الله عنها – من حادثة الإفك ومن قول من قال بالسوء في عائشة – رضي الله عنها – في حديث مسلم السابق ، والتي شهدت

---

[1] زاد المعاد في هدى خير العباد

[2] فتح القدير للشوكاني .

فيه عائشة بنفسها لهذا الموقف المشرف حيث قالت: (فانطلقت أنا وأم مسطح ، وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وأمها ابنة صخر بن عامر، فأقبلت أنا وبنت أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح فقلت لها : بئسما قلت أتسبين رجلاً شهد بدراً ؟ ، قالت: أي هنتاه أولم تسمعي ما قال ؟ قلتُ : وماذا قال ؟ قالت: فأخبروني بقول أهل الإفك).

7- موقف بريرة – رضي الله عنها – .

ويتضح أيضاً موقفها في نفس الحديث حيث قالت عائشة : (فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال : " أي بريرة ، هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟ " قالت له بريرة : والذي بعثك بالحق ، إن رأيت عليها أمراً قط أغمصه عليها ، أكثر من أنها جارية حديثة السن ، تنام عن عجين أهلها ، فتأتي الداجن فتأكله) .

8- موقف زينب بنت جحش – زوج النبي صلى الله عليه وسلم – .

ويا له من موقف رائع وصادق ، حيث قالت عائشة – رضي الله عنها – في حديث مسلم الفارط : (وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سأل زينب بنت جحش ، زوج النبي – صلى الله عليه وسلم – عن أمري " ما علمت؟ أو مارأيت؟ " فقالت : يا رسول الله ! أحمي سمعي وبصري ، والله ما علمت إلا خيراً ! قالت عائشة : وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فعصمها الله بالورع ، وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها، فهلكت فيمن هلك) .

ثالثاً : من الذين أقيم عليه حد القذف في حادثة الإفك ؟

جاء عند أكثر العلماء والمحققين أن الذين أقيم عليهم حد القذف في حادثة الإفك ثلاثة هم : حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش .

وذكر عند البعض عبدالله بن أبي بن سلول ، وهو الذي تولى كبره. والصحيح أن الذين أقيم عليهم الحد ثلاثة وهم : حسان ومسطح وحمنة .

قال الإمام ابن العربي : (المسألة الرابعة : قوله تعالى : " عذاب عظيم " : فيه ثلاثة أقوال : الأول: أنه العمى . الثاني : أنه عذاب جهنم . الثالث : الحد .

فأما العمى فهو الذي أصاب حسان ، وأما عذاب جهنم فلمن كتبه الله له ، وأما عذاب الحد فقد روى محمد بن اسحاق وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم حد في الإفك رجلين وامرأة : مسطحاً ، وحسان ، وحمنة) . [1]

وقال الإمام القرطبي : (المشهور من الأخبار والمعروف عند العلماء أن الذي حُدّ حسان ومسطح وحمنة ، ولم يسمع بحدً لعبدالله بن أبي) . [2]

رابعاً : لماذا لم يقم الحد على عبدالله بن أبي بن سلول ؟

ذكر العلماء عدة تعليلات وحكم في ترك إقامة الحد على عبدالله بن أبي بن سلول، وهو الذي تولى كبر حادثة الإفك .

ومن أفضل وأجمع ما ذكر في هذا المقام ما أورده الإمام ابن القيم حيث قال : (ولما جاء الوحي ببراءتها ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن صرح بالإفك ، فحدوا ثمانين ثمانين ، ولم يُحد الخبيث عبدالله بن أبي ، مع أنه رأس أهل الإفك ، فقيل :

لأن الحدود تخفيف عن أهلها وكفارة ، والخبيث ليس أهلاً لذلك، وقيل : بل كان يستوشي الحديث ويجمعه ويحكيه ويخرجه في قوالب من لا ينسب إليه.

وقيل : الحد لا يثبت إلا بالإقرار أو ببينة، ولم يقر بالقذف ولا شهد به عليه أحد، فإنه إنما كان يذكره بين أصحابه ، ولم يشهدوا عليه، ولم يكن يذكره بين المؤمنين.

وقيل : حد القذف حق الآدمي ، لا يستوفى إلا بمطالبته، وإن قيل : إنه حق الله ، فلا بد من مطالبة المقذوف ، وعائشة لم تطالب به ابن أبيّ .

وقيل : بل ترك حده لمصلحة أعظم من إقامته، كما ترك قتله مع ظهور نفاقه، وتكلمه بما يوجب قتله مراراً ، وهي تأليف قومه، وعدم تنفيرهم عن الإسلام، فإنه كان مطاعاً فيهم ، رئيساً عليهم ، فلم تؤمن إثارة الفتنة في حدّه، ولعله ترك لهذه الوجوه كلها) . [1]

---

[1] أحكام القرآن لابن العربي 272/3

[2] الجامع لاحكام القرآن للقرطبي 134/6

[1] زاد المعاد لابن القيم 236/235/3

الباب الثاني : دروس من حادثة الإفك ، وفيه :

الفصل الأول / دروس عقدية وفقهية من حادثة الإفك .

الفصل الثاني / دروس تربوية وإيمانية من حادثة الإفك .

الفصل الأول : دروس عقدية و فقهية من حادثة الإفك .

الدرس الأول / بيان خبث الرافضة الذين سبوا عائشة – رضي الله عنها – .

ومن الأمور المعلومة عند كل مؤمن عاقلٍ يرجو رحمة ربه ويخاف عذابه أن زوجات النبي – صلى الله عليه وسلم – هن أفضل النساء وأعظمهن ، وأكرمهن وأعفهن .

ومن الأمور التي يعتقدها كل مؤمن ترفع أم المؤمنين وعلو قدرها عن الذي وصفت به من أهل الإفك من الخيانة وارتكاب الفاحشة .

إلا أن طائفة من الأنجاس الذين باعوا ضميرهم للشيطان، فغرهم وألهاهم وأضلهم ، قد تبنّوا حديث أهل الإفك في الصديقة بنت الصديق – رضي الله عنها وعن أبيها– واستمرّوا في إطلاق أقذع الألفاظ وإصدار أبشع التهم وأحطها وأنقصها .

فقد نقل الحسيني في كتابه " أوجز الخطاب في بيان موقف الشيعة من الأصحاب" عن بعض الرافضة ما يشيب من خطره الولدان، وتقشعر لعظم جرمه الأبدان .

ولا شك في أن جنايتهم هذه دليل على فساد عقيدتهم وبطلان مذهبهم، خصوصاً مع مخالفتهم لنصوص الكتاب والسنة التي نصت على براءتها وكذب متهميها وتوعدهم بالعذاب العظيم .

وقد رد العلماء على هؤلاء الرافضة بما يستحقونه ، فمن ذلك :

1– قال الإمام الذهبي – رحمه الله – : (وإياك يا رافضي أن تلوح بقذف أم المؤمنين بعد نزول النص في براءتها فتجب لك النار) . [1]

2– وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله – : (واقرأ نسخة الخنازير من صور أهل المكر والخديعة والفسق الذين لا عقول لهم ، بل هم أخف الناس عقولاً وأعظمهم مكراً وخداعاً وفسقاً ، ولاسيما أعداء خيار خلق الله بعد الرسل، وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن هذه النسخة ظاهرة على وجوه الرافضة، يقرؤها كل مؤمن كاتب وغير كاتب، وهي تظهر وتخفى بحسب خنزيرية القلب وخبثه ، فإن الخنزير

---

[1] سير أعلام النبلاء 188/1.

أخبث الحيوانات وأردؤها طباعاً، ومن خاصيته أنه يدع الطيبات فلا يأكلها، ويقوم الإنسان عن رجيعه فيبادر إليه .

فتأمل مطابقة هذا الوصف لأعداء الصحابة كيف تجده منطبقاً عليهم ، فإنهم عمدوا إلى أطيب خلق الله وأطهرهم ، فعادوهم وتبرؤوا منهم، ثم والوْا كل عدو لهم من النصارى واليهود و المشركين فاستعانوا في كل زمان على حرب المؤمنين الموالين لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمشركين والكفار ، وصرحوا بأنهم خير منهم ، فأي شبه ومناسبة أولى بهذا الضرب من الخنازير ؟ فإن لم تقرأ هذه النسخة من وجوههم فلست من المتوسمين .

وأما الأخبار التي تكاد تبلغ حد التواتر بمسخ من مُسخ منهم عند الموت خنزيراً فأكثر من أن تُذكر هاهنا، وقد أفرد لها الحافظ ابن عبدالواحد المقدسي كتاباً) . [1]

الدرس الثاني : حكم براءة أم المؤمنين عائشة بعد تبرئة القرآن لها

لا شك في أن اتهام أم المؤمنين – رضي الله عنها – بعد نزول الوحي من فوق سبع سماوات بتبرئتها هو اتهام للقرآن وتكذيب به.

وقد ذهب العلماء المحققون – رحمهم الله – إلى كفر من قال بذلك.

قال الإمام ابن تيمية – رحمه الله – :(ومن رمى عائشة – رضي الله منها– بما برأها الله منه فقد مرق من الدين) [2]

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله – : (وقد أجمع العلماء – رحمهم الله – قاطبة على أن من سب أم المؤمنين عائشة بعد ما برأها الله، ورماها بعد قوله تعالى: "إن الذين يرمون المحصنات المؤمنات الغافلات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم " فإنه كافر لأنه معاند للقرآن ، ومن رمى بقية أمهات المؤمنين فإنه كافر أيضاً على الصحيح) [3]

---

[1] مفتاح دار السعادة ص 317 .

[2] الصارم المسلول على شاتم الرسول ص 566

[3] تفسير ابن كثير 276/3

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – : (والحاصل أن قذفها كيفما كان يوجب تكذيب الله تعالى في إخباره عن تبرئتها عما يقول القاذف فيها، ومن كذب الله فقد كفر)[1]

الدرس الثالث: وجوب الحجاب على المرأة، وحرمة كشفها لوجهها.

يؤخذ هذا من قول عائشة رضي الله عنها في الحديث:(فخمرت وجهي بجلبابي) ولا شك في أن مبادرة أم المؤمنين بتغطية وجهها لما رآها صفوان – رضي الله عنه– دليلُ على وجوبه، ولو كان مستحباً فقط لما سارعت إليه مع هذه الظروف العصيبة من فقدها لعقدها ثم علمها بذهاب الجيش عنها، ونومها من الإرهاق والاضطراب الذي حدث لها.

الدرس الرابع : مشروعية الاستشارة وأخذ الرأي والنصيحة .

ويتضح هذا من مشاورة النبي – صلى الله عليه وسلم – لعلي بن أبي طالب وأسامة بن زيد – رضي الله عنهما – في فراق أهله كما جاء في أثناء هذه القصة.

ومما يؤكد مشروعية الاستشارة ، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – استشارهما مع أنه أعلى منهما علماً وقدراً وإيماناً .

الدرس الخامس : وجوب العدل بين الزوجات .

لأن النبي صلى الله عليه وسلم . أقرع بين زوجاته لمرافقة إحداهن في السفر، وخرجت القرعة على عائشة – رضي الله عنها –.

وهذا من تمام صور العدل في الإسلام .

---

[1] رسالة في الرد على الرافضة ص 24– 25

الدرس السادس : مشروعية دفاع المسلم عن عرض أخيه .

وذلك واضح من قول عائشة – رضي لله عنها – لأم مسطح عندما عثرت فقالت : تعس مسطح ، فانتهرتها عائشة – رضي الله عنها – وقالت لها : أتسبين رجلا شهد بدراً ؟

الدرس السابع : جواز تزكية المسلم لأخيه عند الحاجة وأمن الفتنة عليه

حيث قام أسامة بن زيد وبريرة – رضي الله عنهما – بتزكية عائشة – رضي الله عنها – عند رسول الله صلى الله عليه وسلم – وأثنيا عليها خيراً .

وكما حصل في موقف أبي أيوب مع زوجته – رضي الله عنهما – .

الفصل الثاني: **دروس تربوية وإيمانية من حادثة الإفك**.

لعل حادثة الإفك من الحوادث العظيمة التي تستلهم منها الدروس والعبر الإيمانية والتربوية التي تهذب المسلم وتقوي شخصيته وإيمانه .

وهذه بعض الدروس والعبر منها:

1- **يستحب للإنسان أن يورد القصص التي وقعت له أو لغيره إن كان في ذكرها من فائدة مثل غرس سلوك أو دفع شبهة أو تبليغ رسالة.**

2- **بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدّين .**

فها هي الصديقة عائشة – رضي الله عنها- صَبَرَتْ لما نزل البلاء بها، فأبدلها الله به الجزاء العظيم من نزول براءتها في كتابه العزيز، وكذلك ما وعدها به في قوله :(والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) .

3 - **ينبغي للمؤمن أن يحُسن الظن بأخيه .**

لأن هذا من إحسانه الظن بنفسه، وصدق الله القائل: (لو لا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين)

4- **الجزاء من جنس العمل .**

فكما تولى ابن سلول كبر هذه الحادثة وأشاع تلك الفريةأقولهم. ن فقد توعده الله بالعذاب العظيم في الآخرة .

وكما صبرت الصديقة على هذا الابتلاء ، فقد وعدها الله المغفرة والرزق الكريم .

5- خطورة الاستماع لأهل الفساد والشر والانسياق وراء أقوالهم.

وهذا واضح مما جرى لحسان وحمنة ومسطح – رضي الله عنهم – عندما انساقوا وخاضوا في هذه الحادثة التي تولى كبرها رأس الفساد عبدالله بن أبيّ ابن سلول.

6- عظم صلة الإنسان وإحسانه إلى أقربائه ولو كانوا مسيئين إليه .

كما في قوله تعالى في شأن أبي بكر ومسطح – رضي الله عنهما – :(ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) .

النتائج والتوصيات

من خلال البحث تمكن الباحث من التوصل إلى العديد من النتائج الهامة التي يمكن الإشارة إليها في النقاط التالية:

- أن حادثة الإفك ثابتة في القرآن والسنة، وجاءت مؤكدة على براءة عائشة – رضي الله عنها – وعلو قدرها.
- وقعت حادثة الإفك في السنة الخامسة للهجرة على الصحيح من أقوال العلماء.
- الذين أقيم عليهم الحد في حادثة الإفك ثلاثة هم : حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ، ولم يقم الحد على عبدالله بن أبيّ ابن سلول وهو الذي تولى كبر الإفك .
- فساد مذهب الرافضة وضلالهم في اتهامهم لعائشة – رضي الله عنه– بالخيانة.
- هناك العديد من الدروس والأحكام الشرعية والإيمانية التي تستنبط من هذه الحادثة .

التوصيات :

من خلال النتائج التي توصل إليها الباحث يوصي بالآتي :

- ضرورة دارسة حادثة الإفك دراسة مستقلة تحليلية وصفية ليسهل استنباط العبر والدروس منها.

ونسأل الله التوفيق والسداد

الباحث .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام وعلى أشرف المرسلين ، وعلى آله و أزواجه وأصحابه الطاهرين ، وبعد .

فقد رمى هذا البحث إلى دراسة حادثة الإفك دراسة تحليلية وصفية لاستنباط الدروس والفوائد والأحكام منها.

ولقد كانت حادثة الإفك حافلة بالأحداث التي تبين عظم هذا الابتلاء وشدته على المؤمنين .

وكذلك بينت الحادثة عظم مكانة أهل بيت النبي – صلى الله عليه وسلم – وعلو منزلتهم عند الله وعند خلقه.

كما وضحت وكشفت الدور الخطير الذي يلعبه المنافقون لتمزيق المسلمين وبث الإشاعات و الأخبار الكاذبة بينهم لتشويه سمعة الصالحين.

ولقد قسمت البحث إلى مقدمة وبابين : الباب الأول بعنوان نبذة عن حادثة الإفك وفيه فصلان ، الفصل الأول بعنوان حادثة الإفك في القرآن والسنة والفصل الثاني بعنوان دروس في حقائق وأخبار عن حادثة الإفك . والباب الثاني بعنوان دروس من حادثة الإفك ، وقسمته إلى فصلين : الأول بعنوان دروس عقدية فقهية من حادثة الإفك والثاني بعنوان دروس تربوية من حادثة الإفك .

ثم ذيلت البحث بالنتائج والتوصيات والخاتمة ، ثم قائمة بأسماء المصادر والمراجع.

والله اسأل أن يكون ما قدمته نافعاً وخالصاً لوجهه الكريم .

الباحث

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- أحكام القرآن : أبو بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، دار الكتاب العربي – بيروت تحقيق عبد الرزاق المهدي .

3- البداية والنهاية : أبو الفداء العماد إسماعيل بن كثير الدمشقي ، ط الثانية 1974م ، مكتبة المعارف ، بيروت .

4- تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) : عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، ط 1408هـ دار المدني ، جدة .

5- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، ط 1967م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

6- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، 1406هـ ، دار الدعوة ، تركيا .

7- رسالة في الرد على الرافضة : محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي ، ط الثانية ، 1400هـ ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث ، تحقيق : ناصر بن سعد الرشيد .

8- الرحيق المختوم : صفي الرحمن المباركفوري ، الطبعة الشرعية ، دار ابن الجوزي .

9- زاد المعاد في هدى خير العباد : أبي عبدالله محمد بن أبي بكر (ابن القيم) ، ط الثالثة عشرة ، 1406هـ ، مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار ، تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط .

10- سير أعلام النبلاء : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط 1406هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وآخرون.

11- شرح صحيح مسلم : (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) : أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، تصوير دار الفكر ، بيروت .

12- الصارم المسلول : أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، نشر رئاسة البحوث والعلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية.
13- صحيح البخاري : (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه و أيامه) : أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، طبع متناً لفتح الباري ، رقمه محمد فؤاد عبدالباقي .
14- طهارة بيت النبوة ، خالد بن عبدالرحمن الشايع ، ط الأولى ، دار الجلالين – دار بلنسية .
15- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ط الأولى 1415 – 1994م، تحقيق د/ عبدالرحمن عميرة.
16- مفتاح دار السعادة : أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ابن القيم) ط 1402هـ دار نجد الرياض .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة البحث	2
الباب الأول : نبذة عن حادثة الإفك	6
الفصل الأول : حادثة الإفك في القرآن والسنة	7
الفصل الثاني : دروس في حقائق وأخبار حادثة الإفك	27
الباب الثاني : دروس من حادثة الإفك	36
الفصل الأول : دروس عقدية و فقهية من حادثة الإفك	37
الفصل الثاني : دروس تربوية وإيمانية من حادثة الإفك	41
النتائج والتوصيات	43
الخاتمة	44
قائمة المصادر والمراجع	45